Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حافة شاطئ وقد خلصتا من كل الشوائب: من الرمال ومن المحار. وتراهما سحابة فترشفهما. ويعودان من البحار إلى السماء ثم يعودان من السماء إلى البحار، فى دورة دائمة، بل إنه يتمنى لو كانا نجمتين تضيئان للعشاق المسافرين، وللحزانى الساهرين، حتى إذا انطفأ ضوءُهما استحالا دُرَّتين لامعتين بين حصًى كثير، ويراهما ملاك، فيلتقطهما ويرشقهما فى المفرق الطهور، بل يتمنى لو كانا جناحى طائر النورس الرقيق الذى لايبرح المضايق فى أعالى البحار، محلقًا فوق هامات السفن مبشرًا الملّاح بالوصول وسلامته، موقظًا فيه الحنين للأحباب والديار، ووسط هذه الأحلام المرِحة يفيق الفارس القديم من حلمه، ويفتح عينيه، فإذا هو قعيد على رصيف عالمٍ يموج -كما يقول- بالتخليط والقمامة، وينشد صاحبته:

قد كنت فيما فات من أيامْ
يا فتنتى محاربًا صلبًا وفارسًا همامْ
من قبل أن تجلدنى الشموس والصقيعْ
لكى تذل كبريائى الرفيع
وكنت عند ما أحسّ بالرثاءْ
للبؤساء الضعفاء
أودّ لو أطعمتهم من قلبى الوجيعْ

وهكذا اكفهرَّ الجو وامتدّ الظلام الموحش حول صلاح: الظلام الذى لا يزايله، إذ يستشعر دائمًا هموم البؤساء الذين يتجرَّعون آلام البؤس والتعاسة والشقاء، والذين لا يجدون ما يتبلّغون به ويسدّون رمقهم؛ فدائمًا جوع ومسغبة، ودائمًا ظمأ وحرمان.

ثم تكون كارثة الهزيمة فى يونية سنة ١٩٦٧، ويُصْدر بعدها ديوانه «تأملات فى زمن جريح». وهو يئنُّ فيه أنينًا لا ينقطع لهيبه فى فؤاده، ولا يُطفئ لظاه أى شىء، حتى الصلاة والابتهال إلى الله لا يطفئانه ولا يخمدانه؛ فهو مستعر الأوار، يرمى دائمًا بشررٍ لاذع. ويشعر صلاح كأنه ابن سبيل شريدٌ جائع مهان، ولا يعود يذكر شيئًا من الماضى البعيد، حتى وطنه غاب عنه اسمه كما يقول، بل